مجلة أبحاث
ISSN: 0834-2170
EISSN2661-734X

المجلد 6 / العـــــــدد:1 (2021)، ص 143-152

ما بعد الإنسانية: رؤية فلسفية لمستقبل الطبيعة البشرية

Posthumanism: a philosophical vision of human nature

علال أحمد*، جامعة أحمد زبانة-غليزان- (الجزائر)، مخبر الدراسات الاجتماعية والنفسة والأنثروبولوجية، Ahmed.allal@univ-relizane.dz

خن جمال، جامعة أحمد زبانة-غليزان- (الجزائر)، khenjamel3@gmail.com

تاريخ الاستلام: 01 /2021/05 تاريخ القبول: 25 /2021/05 تاريخ النشر: 2021/06/05

ملخص:

يراود الإنسان منذ القدم طموح التخلص من الصفات الغير مرغوب فيها وسعيه الدائم لاكتساب قدرات خارقة، وهو المشروع الذي يطمح إليه اليوم دعاة ما بعد الإنسانية والقائم على تعزيز القدرات البشرية بالاعتماد على تطبيقات التكنولوجيا الحيوية وعلى الهندسة الوراثية بوجه الخصوص والتي تسمح بوضع تعديلات على الجينات رغبة في تعزيزه الاكتساب أفضل الصفات وأعلى القدرات.

وهو ما يراه ممن يدافعون عن القيم الإنسانية خطرا حقيقيا على مستقبل الطبيعة البشرية، باعتبار أن التعديل الجيني هو التعـــديل في طبيعـــة الإنسان وأنه انتهاك للخاصية الجوهرية التي شَكلت دوما إحساسنا بكينونتنا.

الكلمات المفتاحية: البيوتكنولوجيا؛ ما بعد البشري؛ الطبيعة البشرية؛ نهاية الإنسان.

تصنيف JEL : XN2، XN1.

Abstract:

Since ancient times, man has aspired to get rid of unwanted traits and his constant quest to acquire supernatural capabilities, and this is the project that transhumanists aspire to today and is based on enhancing human capabilities by relying on biotechnology applications and genetic engineering in particular, which allows modifications to genes in order to Promoting them to acquire the best qualities and highest capabilities.

which is what those who defend human values see as a real threat to the future of human nature, considering that genetic modification is a modification of the human nature and it is a violation of the essential characteristic that has always shaped our sense of our being.

Keywords: *biotechnolog; post-human; human natur; human end.*

Jel Classification Codes: XN1, XN2.

* **علال أحمد**

. مقدمة:

تُعد التقنية الحيوية من أبرز القضايا المطروحة للنقاش في عصرنا الحالي، ومن جوانب معرفية متعددة كونها موضوعا ذا أبعاد علمية من جهة، وموضوعا ذا أبعاد قيمية (فلسفية) مرتبطة بالإنسان من جهة أخرى،إذ أن المتحمسون للمنجزات العلمية يؤكدون أن التقنية الحيوية هي أعظم هدية يقدمها العلم والتكنولوجيا للإنسانية كونها ستنقلنا إلى عصر ما بعد الإنسانية، وهو العصر الذي سيلبي تلك الطموحات التي لطالما سعى الإنسان لتحقيقها(جسم أقوى،عمر أطول،حياة أفضل...)،فحين هناك من يجادلون بأن فكرة ما بعد الإنسانية هي أخطر فكرة عرفتها البشرية على الإطلاق، كونها ترهن مستقبل البشرية وتتحدى مفاهيم راسخة عن الطبيعة البشرية التي هي ثمرة بناء لآلاف السنين،ففي ظل هذا الجدل نتساءل: **ما المقصود بفكرة ما بعد الإنسانية؟ ولما هي خطر على الطبيعة البشرية بالذات؟.**

1.ما بعد الإنسانية: الدلالة والسياق

يوضع مصطلح "ما بعد الإنسانية"Posthuman" من المصطلحات التي تبدأ بالكاسحة "post" والتي تعني حرفيا "بعد"، ولكنها تعني في واقع الأمر نهاية أو تحول جوهري كامل، ويرادف مصطلح "Posthuman" في اللغة الانجليزية مصطلح "Transhuman" و "Trans" مفردة تشير إلى "مرحلة انتقالية Transitory"، كما أنها تشير أيضا إلى "التجاوز Transcend"، ومنه قولنا Posthuman أو Transhuman يعني انتقالنا من الحالة التي كانت عليها البشرية إلى حالة تليها، مع تجاوز الوضع الطبيعي المألوف للبشر.(**Testart, 1/4/2018**)

تُعرف "ما بعد الإنسانية" على أنها تيار فكري قديم وليس بجديد، وهو التيار الذي يرغب في إزالة المستحيلات وكل حدود الإنسان، والجديد اليوم هو تكنولوجيا NBIC وهي مجوعة من التقنيات (تكنولوجيا النانو، والتكنولوجيا الحيوية، الذكاء الاصطناعي وتكنولوجيا المعلومات) التي تعمل على تحقيق هذه الرغبة، كما تجعل من الممكن كسر حدودنا الأخلاقية التي كانت ممنوع تجاوزها في وقت قريب.

تُعرف أيضا بأنها إيديولوجيا طفيلية كونها تعيد إنتاج عدة رغبات بدائية (تجنب المرض، تجنب الموت..)وتدعي حلها بفضل التقدم العلمي، فهي منتشية بالعلوم التقنية التي تسمح بتحقيق كل تلك الرغبات،إلا أنه أمام هذا الطموح يوجد حاجز بيولوجي حقيقي، وحاجز جيني،وحاجز خاص بالنوع،والرغبة في تجاوز هذا الحاجز يتطلب تعديلات جينية وتعديلات بيولوجية عميقة لهويتنا، وهذا يعني بلغة البرمجة خلق إنسان نسخة 2.0، الذي هو مشروع ما بعد الإنسانية،فهي تسعى إلى تحقيق الطموحات المتجسد في شعارها: صحة أفضل،حياة أطول،ذهن أرقى، مشاعر كريمة (جديدي، ،8 فيفري2021)، ويُعد "نيك بوستروم" أبرز المتحمسين لفكرة "ما بعد الإنسانية" والمدافعين عنها، فهو أحد مؤسسي الجمعية العالمية لما بعد الإنسانية، كما أنه مديرا لمعهد مستقبل الإنسانية بجامعة أكسفورد، ويرمز لحركة ما بعد الإنسانية بالرمز **+H** تمييزا للنسخة المطورة من البشر عن البشر العاديين.

"فما بعد الإنسانية" ليست مرتبطة بمنطقة أو فئة معينة، بل هي حركة دولية تستكشف استخدام العلم والتكنولوجيا في تعزيز قدراتنا الذهنية والجسدية والتغلب على الجوانب البشرية كالمرض، والشيخوخة، والموت اللاإرادي، إنها تفترض أن الإنسان سيخضع

لتحسينات تجعل منه ما يشبه البطل الخارق (كريس، 2014، صفحة 219)، وذلك بالاستعانة بما توصلت إليه الأبحاث في مجال الطب والبيولوجيا والتكنولوجيا الحيوية عمومًا، التي من شأنها أن تجعل البشر بمقدورهم السمو فوق الظواهر والعمليات البيولوجية والعيش لسنوات أطول كهدف أساسي.

ما يعني أن حركة "ما بعد الإنسانية" تهدف ليس فقط إلى معالجة الاختلالات التي تصيب جسد الإنسان فقط، بل تذهب إلى أبعد من ذلك فهي تسعى إلى تطوير القدرات البشرية وتعزيزها إلى أقصى حد ممكن، ليصبح جسم الإنسان أكثر قوة وصلابة وجمالا أيضا، فهي تسعى إلى "تغيير البشر من أجل أن يحيوا حياة أفضل وأطول، إذ يصفها أحد المؤيدين وهو "كرونالد بلي" على أنها الحركة التي تجسد بصورة مصغرة طموحات الإنسانية جرأة وشجاعة وخيالية ومثالية". (كريس، 2014، صفحة 220)

إذ تمثل "ما بعد الإنسانية" تتويجًا للحلم اليوتوبي البشري في الانعتاق من أسر المحدوديات البيولوجية الحاكمة للوجود البشري(المرض،الوهن،والشيخوخة،الخوف، الموت..)،ويمثل السعي للخلود الوجه الآخر لما بعد الإنسانية (الدليمي، 2019، صفحة 18)،فهي تضع عُمر الإنسان من أكثر اهتماماتها، فهي تتطلع إلى العيش الأبدي للإنسان أو لعمر أطول كأقل تقدير.

2.في نشوء فكرة ما بعد الإنسانية

لم يكن مصطلح "ما بعد الإنسانية" متداولًا في أدبيات الفكر المعاصر وما قَبلهُ إلا في سنة 1957، ويعود الفضل في نحت المصطلح إلى عالم الأحياء البريطاني "جوليان هاكسلي" وذلك حينما عبر عنه في مقال له بعنوان "زجاجات جديدة لنبيذ جديد" قائلا:"**يمكن للجنس البشري أن يسمو على نفسه –وليس بشكل متقطع– فردٌ هنا بطريقة وفردٌ هناك بطريقة، ولكن في مجملها كبشرية، نحن بحاجة إلى اسم لهذا الاعتقاد الجديد ربما هو "ما بعد الإنسانية"**.(Huxley, 1957)

إلا أن فكرة المبطنة لـــ"ما بعد الإنسانية" ليست بجديدة،كون التوق البشري في سعيه للحصول على قدرات جديدة، فكرة قديمة بقدم نوعنا البشري، فهي فكرة نجد لها باعحتى في العصور القديمة، إذ نجدها متجذِرة في الكثير من الملحمات والأساطير الإغريقية(تتميز الملحمات والأساطير الإغريقية بكونها ذات طبيعة ميثولوجية أحداثها تتمحور في تقمص دورالإله ومحاولة تحسين حياة البشر مثلما هو متجسد في قصة "بروميثيوس"، أعمال أدبية أخرى تتمحور أحداثها حول السعي إلى الخلود الأبدي كما هو الحال في رواية "غلغماش)، وفي بعض الأعمال الفنية والأدبية في العصور الوسطى، كما كان لعصر التنوير التأثير الكبير في شيوع فكرة ما بعد الإنسانية، فهو العصر الذي يعود له الفضل في فتح الطريق أمام بداية فلسفة ما بعد الإنسانية (Edgar, 2009, pp. 157-167)،وذلك من خلال تلك الثورات الفكرية التي غيّرت مسار التاريخ العام والتاريخ البشري على وجه الخصوص، والتي مست مجالات عِدّة كالمعرفة والسياسة، ولعل أهم هذه التحولات تغير في مركزية الإنسان ورؤيا العالم ،كما سعى الفكر التنويري إلى تجاوز كل ما هو جوهري وللحدود البشريّة والعقائدية، بالإضافة طغيان النزعة العلمية على الفكر الإنسان فيه،هو ما يراه الفلاسفة السياسيون في هذا العصر أمثال "بنجامين فرانكلين" و "ويليام جودوين" إذ يرون أنّه سيكون بإمكان الإنسان في المستقبل التغلب ليس فقط حالة اللامساواة والقهر، بل كذلك المرض و وربما يضاف لهم الموت يوما ما، أين سيمكن القضاء عليهم بواسطة التقدم العلمي (Hughes, 2012, p. 760).

ولعل بروز كتاب أصل الأنواع لمؤلفه "تشارلز داروين" الذي صدر سنة 1859، كان له التأثير الكبير على الفكر الإنسانيّ، خصوصا فيما تعلق بفكرة التطور والتي أخذها عنه ممن عاصروه، والتي امتدت إلى عصرنا الحالي، خصوصًا "العلماويين" البيولوجيين (العلماويين هم من يؤمنون إيمان مطلق بالعلم) أمثال "فرانسيس غالتون" و "جون بوردون هالدين" هذا الأخير الذي كتب مقالا له "ديدالوس: أو العلوم والمستقبل" والذي قدم فيه رؤية استشرافيّة متفائلة لما ستقدمه العلوم عمومًا وعلم البيولوجيا و الوراثة على وجه التحديد (Haldane, 1923).

كما كان للخيال العلمي المتجسد في الأعمال الأدبية و الفنية المعاصرة دورا هاما في التأثير على الجمهور وزيادة الطموح نحو السعي لمستقبل ما بعد الإنسانيّ، ونتكلم هنا عن روايتيّن بارزتيّن هما: رواية "عالم جديد شجاع" للفيلسوف "ألدوس هكسلي" شقيق "جوليان هكسلي"،التي صدرت سنة 1932م،والرواية الثانية رواية "جورج أورويل" التي صدرت سنة 1949م، فقد صور لنا "ألدوس هكسلي" في أحداث روايته عالما سيطر فيه العلم على حياة البشر وأصبحت فيه الآلة تحل مكان الإنسان، عالما غابت فيه القيم الروحية والجمالية وتغيرت فيه الطبيعة البشريّة،عالم يتم فيه "تفقيس" الأطفال في أنابيب داخل المخابر وبصفات منتقاة،عالم خلت منه مظاهر المرض والوهن، وما عادا للشيخوخة مكانا فيه. (أنظر:ألدوس، 1999)

أما "جورج أورويل" يصور لنا أحداث روايته مثلما هو الحال في رواية "عالم جديد شجاع" ولكن يختلفان في النظرة،إذ أن رواية 1984 رواية "دسيوتوبية" تعبر أحداثها عن رؤية استشرافية تحمل الكثير من التشاؤم لمستقبل مجتمع مقموع مستبد من قبل الأنظمة الشمولية من جهة، ولهيمنة التكنولوجيا على حياة الناس من جهة أخرى (أنظر:أوريول، 2006)، وهو التصور على عكس تصور رواية "عالم جديد شجاع" التي تنظر لمستقبل برؤية تفاؤلية.

كما كان للتطورات العلمية والتكنولوجية الحديثة إسهاما كبيرا في تدوين مصطلح "ما بعد الإنسانية"، خصوصا وأنها ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتطورات الحاصلة في مجال التكنولوجيا الحيوية وما توصلت إليه من أبحاث، التي منحت أملا لتلك الأفكار الروائية والفلسفية التي تصور لنا الإنسان الفائق من إمكانية التجسيد واقعيا.

3. البيوتكنولوجيا كسبيل للمستقبل ما بعد البشري

البيوتكنولوجيا أو التكنولوجيا الحيوية هي ثمرة خليط متجانس من المعارف والعلوم، شاركت فيه عِدّت تخصصات كالبيولوجيا و الطب والتكنولوجيا، التي يقصد بها "مختلف أشكال التدخل التقني في حياة وجسم الإنسان، عن طريق مختلف عمليات زرع الأنسجة، والخلايا الجذعية، إضافة إلى إبقائه تقنيا على قيد الحياة بواسطة أجهزة مخصصة لذلك، فهي تشمل كل أشكال التدخل في الكائن الحي." (يوفتاس ، 2011، صفحة 7)

إضافة إلى أنها تشمل مجموع التطبيقات الجزيئية للمورثات والبروتينات، وكل ما يتعلق بالهندسة الوراثية وتطبيقاتها وصولا إلى إنشاء بطاقة وراثية جينية بالنسبة للجنس البشري وغيره من الكائنات الحية سواء كان ذلك "بتكييف الجينات أو تعديلها أو نقلها أو عزلها أو تنقيتها أو تطعيمها أو حتى دمجها.

كما يقصد بالتكنولوجيا الحيوية القدرة على استخدام المعارف المختلفة و المتعلقة بالكائنات الحية،والاستفادة بكل المهارات و الابتكارات في كافة المجالات و دراستها جيدا على أسس علمية، بهدف تطبيقها على الكائنات الحية للاستحداث و للتعديل من أداء الكائن الحي لما يخدم هذا الكائن الحي والبيئة و الإنسان على وجه الخصوص. (صفاء ، د.ت)

والتكنولوجيا الحيوية هي إحدى التكنولوجيا **NBIC** -كما أسلفنا الذكر- والمؤدية للمستقبل ما بعد البشري، وذلك لما قدمته من إمكانيات لتحقيق ذلك، إذ حدد "فرانسيس فوكوياما" في كتابه "مستقبلنا بعد البشري عواقب الثورة البيوتكنولوجية" أربع عوامل أساسية ترتكز أساسًا على منجزات مرتبطة بالتقنية الحيوية للوصول لمستقبل ما بعد البشري، وهي معرفة أكبر بالسببيات الوراثية، وإطالة الحياة، وعلم الأدوية العصبية، وكذلك الهندسة الوراثية. (فوكوياما، 2006)

إذ ساهمت منجزات التكنولوجيا الحيوية من تغيير نمط الحياة الإنسانية، فأصبح بإمكان الإنسان المعاصر تغيير حالته الشعورية ومزاجياته كالخوف، والجبن، والكره، والحزن..الخ، والتغلب عليها بفضل عقاقير مخصص لذلك، هذا ما جعل دعاة عصر "ما بعد الإنسانية" متفائلين بأن الإنسان في هذا العصر سيكون أقل اكتئاب و أكثر سعادة من الإنسان العادي بفضل هذه المنجزات الحيوية،وإذا ما تحدثنا عن الهندسة الوراثية فإننا نتحدث عن الثورة الحقيقة في علم الوراثة، إذ أنه وبعد فك شفرة "الدنا" وهو الأمر الذي أتاح إمكانية التعديل الجيني (التعديل الوراثي) لمعالجة الجينات المريضة أو المشوهة للحصول على طفل خالٍ من التشوهات، و لم يقف طموح الهندسة الوراثية على المعالجة فقط، بل تعدى الأمر ذلك، للحصول على طفل "حسب الطلب" الذي سيكون في النهاية "الإنسان المعزز" أين سيتمكن اختصاصي الوراثة من تحديد الجين الخاص بصفات الطفل كالذكاء،لون العينين،لون الشعر،القامة،وغيرها من الصفات الأخرى حسب الرغبة، فهذه التكنولوجيا التي ستمكّن البشر من تحويل أنفسهم تدريجياً إلى أشخاص ستتجاوز قدراتهم ما ندركه اليوم بمصطلح الإنسان. (Tirosh-Samuelson و and all، 2011، صفحة 31)

ودعا ممن سموا أنفسهم الإنسانيين الجدد أو الإنسان البديل إلى تعزيز الإنسان بأقصى قوة، لهدف صريح وهو دعم تكنولوجيا الحيوية لحياة المرء، ويعتقد دعاة الإنسان البديل من أمثال "نيك بوستروم" و "ماكس مور" أن التكنولوجيا الحيوية يمكن استخدامها لتحسين حياة الإنسان، كما أنهم يعتقدون أنه لا وجود لمبررات أو أوامر أخلاقية تحظر تطوير واستخدام تكنولوجيات تعزيز قدرات الإنسان، وقد عبر أحد من الفلاسفة المتحمسين وبشدة لانجازات الثورة البيوتكنولوجية و وهو من أبرز الدعاة إلى العصر "ما بعد الإنساني" "بيترسلوتراديك" إذ أنه يرى – في ذات السياق- بأنّ الإنسان مخلوق ناقص، أي أنه الكائن الذي لم يتحدد و لم يستقر على طبيعة نهائية، لذا وجب إعادة النظر في خصائصه وطبيعته، وما الطبيعة البشرية سوى أسطورة ولا يوجد شيء طبيعي بصورة تامة. (كيحل، 2018)

بالتالي دعاة "ما بعد الإنسانية" يرون أنه لا يجب أن تكون الإنسانية الحالية نقطة نهاية التطور، إذ يأمل أنصار "ما بعد الإنسانية" أنّه ومن خلال الاستخدام المسؤول للعلم والتكنولوجيا والوسائل العقلانية الأخرى ، سننجح في نهاية المطاف في أن نصبح كائنات ما بعد الإنسان ، تتمتع بقدرات أكبر بكثير من البشر الحاليين. (Tirosh-Samuelson & and all, 2011, pp. 29-30)

كما يدعو المتحمسين لما بعد الإنسانية بحرية الأفراد في خياراتهم الشخصية حول كيفية تمكينهم في عيش حياتهم بطريقة أفضل، وذلك من خلال استخدام التقنيات التي يمكن تطويرها لمساعدة الذاكرة والتركيز والقدرات العقلية، وللعلاجات،وإطالة الحياة بالإضافة إلى تقنيات اختيار الإنجاب، وإجراءات التجميد، والعديد من التعديلات والتعزيزات البشرية المحتملة الأخرى.

لكن منتقدي فكرة "تعزيز الإنسان" من أمثال "فرانسيس فوكوياما" و"يورغن هابرماس" ومن أمثالهم ممن يسيرون في هذا الرأي، يعارضون بشدة التدخل العابر لإصلاح الطبيعة البشرية بغرض التعزيز، لكون استخدام تطبيقات التكنولوجيا الحيوية للتعديل الجيني منافي لمفهوم الطبيعة البشريةـــ، كما أن هذه التكنولوجيا تعمل على إنقاص من كرامة الإنسان فضلا أنها قد تكون ضارة جسديا ونفسيا.

4. مابعد الإنسانية:تجاوز للطبيعة البشرية

السمة المركزية لما بعد الإنسانية ، إذن ، هي الادعاء بأن الطبيعة البشرية ليست ثابتة، وأن مستقبل البشرية مرن، وأنها مفهوما غير ذي مغزى على حد تعبير العالم "بول ايرليخ" معبرا عن أمله في أن يهجر الناس الحديث عن الطبيعة البشرية تماما وللأبد لكونها مفهوما غير ذي مغزى". (فوكوياما، 2006)

فـــ"ما بعد الإنسانية" التي هي ثمرة الإنسانية العلمانية والتنوير، ترى بأن الطبيعة البشرية الحالية يمكن تحسينها من خلال استخدام العلوم التطبيقية والأساليب العقلانية الأخرى، والتيقد تجعل من الممكن زيادة مدى صحة الإنسان ، وتوسيع نطاقنا الفكري والقدرات الجسدية ، وتمنحنا سيطرة متزايدة على حالاتنا العقلية والمزاجية. " Tirosh-Samuelson & and all,) 2011, p. 13)

و"هكسلي" هو الآخر يؤكد أن طموح ما بعد الإنسانية لن يكون إلا بالتعديل من الطبيعة البشرية التي يراها قابلة للتعديل، فالإنسان في عصر ما بعد الإنسانية يبقى إنسان ولكن يسموا على نفسه من خلال تحقيق إمكانيات جديدة لطبيعته الإنسانية". (Huxley، 1957، صفحة 17)

ولقد ولّدت فكرة "ما بعد الإنسانية" القائلة بأن الطبيعة البشرية مرنة، انتقادات جادة من المفكرين السياسيين وعلماء الأخلاق واللاهوتيين ، ولعل أبرزهم: فرانسيس فوكوياما، ورونالد كول تورنر، وليون كاس، وإريك باريتر، وجان بيتكي ألشتاين، ولانغدون وينر،من بين آخرين كثيرين، أين عبروا عن قلقهم ومخاوفهم إزاء الاستخدام المتزايد واللامحدود للتطبيقات البيوتكنولوجية على الجسد البشري، والتي تشكل تهديدا مباشرا لمستقبل الطبيعة البشرية، كونها الطبيعة الفطرية التي تشتمل **على مجموع السلوك والخصائص التي تميز النوع البشري على نحو نمطي والنابعة من العوامل الوراثية** (فوكوياما، 2006، صفحة 165)وهي التي تمنحنا الحس الأخلاقي وتزودنا بالمهارات الاجتماعية التي تمكننا بدورها من الحياة في المجتمع الذي ظل من الثوابت منذ وجود البشر. (فوكوياما، 2006، صفحة 132)

يرى المدافعين عن الحتمية البيولوجية أن الجينات هي العامل الحاسم في تشكيل السلوك البشري،حيث أن حياة البشر وأفعالهم هي نتائج محتومة للخصائص البيوكمياوية للخلايا التي تكوّن الفرد،وهذه الخصائص تحددها بدورها على نحو منفرد مكونات الجينات التي يحملها كل فرد وفي النهاية فإن السلوك البشري –وبالتالي المجتمع البشري– محكوم بسلسلة من المعاول المحددة تجرى من الجينات إلى الفرد حتى مجموع تصرفات كل الأفراد (ستيفن، ليون، و ريتشارد، 1990، صفحة 18)،فالطبيعة البشرية حسبهم طبيعة فطرية مثبتة في جيناتنا لا تتغير.

فالامتثال لطموح "ما بعد الإنسانية" القائم على التعديل في طبيعة الإنسان سيعود حتمًا بعواقب وخيمة على الإنسان نفسه، وعلى النظام الاجتماعي والسياسي أيضا، "**كونها تتحدى مفاهيم راسخة عن المساواة بين البشر، وعن القدرة على الاختيار**

الأخلاقي،كما ستقدم للمجتمعات تقنيات جديدة للتحكم في سلوك مواطنيها ،وستغير فهمنا للشخصية والهوية البشرية ،وستَقلب التسلسلات الهرمية الاجتماعية القائمة رأسًا على عقب،كما أنها ستؤثر في طبيعة السياسة العالمية". (فوكوياما، 2006، صفحة 109)

فإذا كان دعاة عصر ما بعد الإنسانية منتشين بالتطورات الحاصلة في مجال التقنيات البيوطبية الحيوية التي تتيح الوصول إلى جينات الإنسان والتعديل عليها وما توفره من إمكانيات و فرص تحسين النوع البشري،إذ أنها تحمل في المقابل خطرا ليس على التوازنات و الأخلاقيات فحسب،بل تؤدي إلى ماهو اخطر من ذلك، أي ظاهرة استعباد جديد للبشر بتحويله من مادة قابلة لتكيف و التصرف أي تحويل العلم من مشروع السيطرة على الطبيعة إلى مشروع السيطرة على الإنسان. (جيلالي ، 2011، صفحة 23)

ونظر لهذه التغييرات التي أحدثتها وستحدثها التقنية الحيوية، نجد فئة واسعة من المفكرين يعارضون حصول ذلك، وهذا خوفا على مستقبل الطبيعة الإنسانية، إذ عبر فرانسيس فوكوياما عن مخاوفه إزاء ما سينجر عن التغيرات التي تحدثها التقنيات الحيوية:"..**ليس خوفا نفعيا على الإطلاق ،لكنه الخوف من أن تتسبب التقنية الحيوية في النهاية في أن تفقد بشريتنا بصورة ما ،أي تلك الخاصية الجوهرية التي شكلت دوما أساس إحساسنا بكينونتنا ومصيرنا،برغم جميع التغييرات الواضحة التي طرأت على الحالة البشرية طوال مسيرة التاريخ ،والأسوأ من ذلك هو أننا قد نحدث هذا التغيير دون أن ندري أننا فقدنا شيئا ذا قيمة عظمى**". (فوكوياما، 2006، صفحة 131)

وعالم الأخلاقيات الحيوية "ليون كاس" هو الأخر عبر عن قلقه حول مصير مستقبل الإنسان في ظل الانتهاكات الأخلاقية المنجرّة عن استخدام التقنيات الحيوية، إذ يرى أنه "**على عكس الإنسان الذي يقهر المرض أو العبودية ،البشر الذين بتم تجريدهم من صفاتهم البشرية على طريقة عالم شجاع جديد ليسوا تعساء ،وليسوا مدركين لتجريدهم من الصفات البشرية ، بل أنهم – وهو الأسوأ– لم يكونوا ليكترثوا لو علموا بذلك، والواقع أنهم عبيد يشعرون بسعادة الرقيق**". (فوكوياما، 2006)

إن اللحظة التي صار فيها الإنسان المعاصر تحت رحمة التقنيات الحيوية التي تطمح إلى إحداث تغيرات جذرية في طبيعته، أجمع المحافظين والمدافعين عن القيم الإنسانية على أنها "أزمة الإنسان المعاصر"، إذ وصفتها "أدريين كوخ" على أنها:" **أزمة فريدة في تاريخ الإنسان، فهي أوسع وأعمق انتشارا من أي أزمة أخرى عرفها تاريخ الإنسان، لأنها أزمة الوجود البشري ذاته وهذه البارقة الأولى من بوارق الخوف الناشئ من الصور المتعددة لاحتمال الدمار الشامل لشخصية الإنسان..**" (كوخ، 1973، صفحة 15)، وبالتالي فقد نجد أنفسنا على الجانب الآخر من حد فاصل عظيم ما بين تاريخنا البشري ،وتاريخنا التالي للبشري، ثم لا نرى حتى هذا الحد الفاصل إن تم اختراقه لأننا لم نعد ندرك ماهية هذا الجوهر. (فوكوياما، 2006)

فالإنسان الذي عُدّلت جيناته قي المخابر بواسطة التقنيات الحيوية هو إنسان مصنع، صفاته وقدراته الفكرية وبنيته الجسمية منتقاة من قبل الآخرين، وهذا يتنافى مع مفهوم الاستقلالية.

5. نهاية الإنسان

إذا كان المسعى الذي يطمح إليه دعاة "ما بعد الإنسانية هو الوصل إلى ما يسمونه "بالإنسان المعزز" ذو القدرات البدنية والفكرية الخارقة، إذ ولابد هنا من التأكيد على أن حركة "ما بعد الإنسانية" هي أبعد من مجرد تطويرات تقنية تحصل للكائن البشري وتجعله يغادر مرتبة الكينونة البيولوجية الكلاسيكية،بل المدلول الفلسفي الأنطولوجي للكينونة البشرية ذاتها،سيعاد صياغة مفهومه بعد مغادرة "مركزية الكائن البشري" في محيطه البيولوجي،كما هو حاصل اليوم،سنشهد أيضا إعادة صياغة كل الأنساق البيولوجية والمعرفية التي تميز الوجود البشري الحالي،ومن هنا جاء مفهوم نهاية الكائن البشري الكلاسيكي، ليكون خصيصة مميزة لعالم "ما بعد الإنسانية". (الدليمي، 2019، صفحة 18)

إن دخولنا العصر "ما بعد الإنساني" يفترض تعديلًا في الطبيعة البشرية، والتعديل في الطبيعة البشرية هو إسقاط و سلب لكرامة الإنسان، وهذا ما يعني بصورة أخرى نهاية إنسانية الإنسان، فالطبيعة البشرية التي تبنى عليها الكثير من القيم كالحرية والمساواة والحقوق، مبادئ فطرية أخرى، ولعل أهما هو أن يعيش الإنسان بكرامة.

فالكرامة هي جوهر الإنسانية كونها متأصلة في الشخص الإنساني لا تنفك عنه ،وكل عمل في تغيير الطبيعة البشرية هو مساس بكرامة الإنسان،وهذا ما عبر عنه فرانسيس فوكوياما بقوله:" **إن أعمق المخاوف التي تعتري الناس بخصوص التقنية الحيوية في النهاية ، في أن تفقد بشريتنا بصورة ما كرامتها أي تلك الخاصية الجوهرية التي شكلت دوما أساس إحساسنا بكينونتنا ومصيرنا برغم جميع التغيرات الواضحة التي طرأت على الحالة البشرية طوال مسيرة التاريخ**". (فوكوياما، 2006، صفحة 131)

هذا الأمر يجعلنا نستشعر بمدى خطورة الوضع الذي آل إليه الإنسان المعاصر، بعد أن سكنته الرغبة الجامحة في تغيير طبيعته بالاستعانة بالتقنيات الحيوية، سيتم تشيؤ الأجنة و تبضيعها، وفي أفق طفل تحت الطلب سيتم تجريد الجنين الذي هو إنسان المستقبل من الخاصية الإنسانية، ليتحول إلى مجرد أشياء مخبرية، وتكون كرامة الطفل حينها ككرامة الآلة التي نعدل فيها حسب الحاجة،و الحال إن ما يضمن إنسانية الإنسان هو أن يكون شخصا بالمعنى الأخلاقي ذو كرامة.

فبعدما كان هذا الجسد البشري مطمورا ومهمشا يستحي التحدث فيه،خرج ليرى النور ويحتك بالتكنولوجيا الطبية، إلا أنه فقد المكانة التي يجب أن تكون له أصبح مثله مثل الأشياء (بيدوح، 2009، صفحة 9)، "فالإنسان كما نعرفه حاليا لن يكون هو الإنسان بعد سنوات ليست بالكثيرة من الآن، إذا ما استمرت الأمور على حالها، وبدلا منه سوف يظهر إنسان جديد قد يكون أكثر سعادة بفضل العقاقير الطبية التي يبتلعها يوميا، والتي تزيد من ثقته بنفسه أو من قدرته على التركيز، وسوف يكون أكثر ذكاء واقل مرض، وسوف يعيش عمرا أطول،بفضل علم الوراثة الذي أصبح يتدخل في طبيعته أو تركيبته الداخلية ، ولكن المشكلة أنه سيكون إنسانا أخر سوف يكون اصطناعيا لا طبيعيا.

إن ما تشير إليه هذه الاكتشافات البيولوجية أو التكافل المتزايد بين الإنسان والآلة ،هو أننا سنكون أمام نتيجتان حتميتان، أولهما هي التحكم الوراثي الكامل في الإنسان، وثانيهما هي نهاية الإنسان كإنسان، ونهاية الإنسان هي المعرفة تبعا لرؤية فرانسيس فوكوياما:" **نهاية الإنسان هي المعرفة، لكن شيئا واحدا لا يمكن أن يعرفه، إنه لا يستطيع أن يعرف ما إذا كانت المعرفة ستنقذه أم أنها ستقتله، سيقتل نعم لكنه لا يستطيع أن يعرف ما إذا كان قد قتل بسبب المعرفة التي اكتسبها أو بسبب المعرفة التي لم**

يكتسبها، والتي كانت ستنقذه لو أنه عرفها" (فوكوياما، 2006، الصفحات 6-7)، فحينما تصبح التقنية التي هي ناتج للمعرفة قادرة على اختراق التركيبة الوراثية للإنسان والتحكم في بنيته ومختلف وظائفه الحيوية، فان هذا إعلان صريح بهيمنة وسيطرة التقانة على الإنسان الذي كان بالأمس الكائن المقدس، المستقل، سيد الطبيعة.

إن الآليات البيوتكنولوجية تمكن من اتخاذ المسار الذي تسعى إليه "حركة ما بعد الإنسانية"، وهو المشروع الذي يحمل تحديات أخلاقية وأسئلة أنطولوجية عميقة تتعلق بالوجود الإنساني وبطبيعته وبحقوقه بصفة عامة،والمخاوف التي تغزي الناس بخصوص التقنية **ليس خوفا نفعيا على الإطلاق لكنه الخوف من أن تتسبب التقنية الحيوية،في النهاية ،في أن نفقد بشريتنا بصورة ما.** (فوكوياما، 2006، الصفحات 130-131)،خوفا نابع من الوضع الذي أصبح عليه الإنسان المعاصر الذي طالما صاحبه الهوس والرغبة، ليس فقط باستكشاف اللامكشوف ومعرفة حقائق هذا العالم الوجودي، بل أصبح " يترع إلى التجريب والتجديد في قلب الكيان الإنساني ذاته ، ففي المنطقة التي كانت ممتنعة على سلطان الإنسان تتدخل اليوم بوجه الدقة التقنية الإنسانية" (جاكلين، 2011، صفحة 18)، وهذا دون أن يفكر للحظة ما سينجر عن هذه الاكتشافات وما آلاتها على الإنسانية،والتي قد تكون الخطوة الأخيرة لإعلان بنفسه نهاية النوع الإنساني.

قد يكون البشر في عالم ما بعد الإنسانية أصحاء وسعداء ،لكنهم ما عادوا بشرا ،فلم يعودوا يكافحون أو يطمحون أو يحبون أو يستشعرون الألم أو يتخذون الخيارات الأخلاقية الصعبة ،أو تكون لهم عائلة ،أو يفعلون أيًا من الأشياء التي تربط تقليديًا بينها وبين كوننا بشرا ،لم تعد لديهم الصفات التي تمنحنا الكرامة الإنسانية ،وفي الواقع لم يعد هناك ما يسمى بالجنس البشري، لان الطبيعة البشرية ذاتها قد تم تغييرها.

6. خاتمة:

وعلى ضوء ما سبق يتبين لنا أننا أمام أزمة إنسانية -أنطولوجية-، ترهن مستقبل الوجود الإنساني، والبيونكنولوجيا هي التي فتحت باب هذه الأزمة، وذلك حينما أتاحت إمكانية التعديل في الطبيعة البشرية وهذا ما يسعى إليه دعاة عصر ما بعد الإنسانية، إذ يهدفون إلى تحقيق ذلك دون مراعاة المخلفات التي ستنجر من وراء ذلك، ونتحدث هنا عن زعزعة كيان الإنسان، ودمار للهوية الإنسانية، وهذا ما ينبئ بنهاية الإنسان كوننا فقدنا الخصيصة الجوهرية للإنسانية، وهو الأمر الذي يجعلنا نقف أمام عتبة عصر ما بعد الإنسانية، وهي المرحلة التي تسيطر فيها التقنية على الإنسان من مختلف جوانب حياته، كما أنها المرحلة التي تنعدم فيها القيم الإنسانية، وفيها ما عاد لنا أن نفرق بين الإنسان والآلة.

ومع كثرة المخاوف المترتبة عن هذا الوضع، إلا أنه يقابله ضعف الجهد العالمي لتطوير السياسات واللوائح الأخلاقية التي من شأنها أن تضع ظوابط لهذه التكنولوجيا الحيوية، وهذا لهدف واحد وأساسي هو حماية الإنسان من خطر صامت لا تحمد عاقبته.

7. قائمة المراجع:

- Tirosh-Samuelson, H., & and all. (2011). *H± Transhumanism and Its Critics.* Philadelphia: Metanexus Institute.
- Edgar, A. (2009). The hermeneutic challenge of genetic engineering.Health Care and Philosophy*2*(12)
- Haldane, J. (1923). *Daedalus, or Science and the Future.* Cambridge: A paper read to the Heretics.
- Hughes, J. H. (2012). , THE POLITICS OF TRANSHUMANISM AND THE TECHNO-MILLENNIAL IMAGINATION. *Zygon: Journal of Science and Religion*, *47*(4)
- Huxley, J. (1957). , *New Bottles for New Wine.* London: chatto and windus LTD,.
- Testart, J. (1/4/2018). *le péril "transhumaniste"*. le 64' monde en français , TV5Monde.

- أحمد شاهين صفاء . (د.ت). *جوالات في عالم البيوتكنولوجيا*. دار التقوى للنشر والتوزيع، د.م
- أدرين كوخ، *آراء فلسفية في أزمة العصر*. (محمود محمود، المترجمون) الأنجلوالمصرية، القاهرة، 1973
- إمبي كريس، *نهاية كل شيء*، (ايناس المغربي، المترجمون)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (2014).
- بوبكر جيلالي، فلسفة العولمة، *الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية،العدد*(7)، (2011).
- جورج أوريول، *1984* ، (أنور الشامي، المترجمون)، ط1 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، (2006).
- روز ستيفن، كمان ليون، و ليونتن ريتشارد، *علم الأحياء والإيديولوجيا والطبيعة البشرية*، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (1990).
- روس جاكلين، *الفكر الأخلاقي المعاصر*، (عادل العوا، المترجمون) عويدات للنشر والطباعة، د.م، (2011)
- سمية بيدوح، *فلسفة الجسد*: دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، (2009).
- عمر يوفتاس، *البيوإطيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا*.: إفريقيا الشرق. الدار البيضاء، (2011).
- فرانسيس فوكوياما، *مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية*. (محمود عبد الرحيم إيهاب ، المترجمون) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، (2006).
- لطيفة الدليمي.. ما بعد الإنسانية .. من يوتيوبيا غلغامش إلى رؤية كيرزويل. *جريدة الشرق الأوسط، العدد*(14821)، (2019)،
- محمد جديدي، ندوة فكرية، *يوتوبيا ما بعد الانسانية*، جامعة قسنطينة قسنطينة، 2،8 فيفري2021
- مصطفى كيحل، *مدخل إلى قضايا الفلسفة التطبيقية*. الجزائر: إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، (2018)
- هكسلي ألدوس، *عالم جديد شجاع*. (خاطر الشريف، المترجمون) القاهرة: مكتبة الأسرة، (1999)